خطبة جمعة بعنوان/

﴿فاكنز هؤلاء الكلمات ٢﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:-

فقد بدأنا في الخطبة الماضية نتفيأ ظلال دعاء النبي ﷺ الذي علمه شدادَ بنَ أوس رضي الله عنه، وحثَّه على اكتنازه ورعايته وحفظه، فقال له النبي ﷺ: «يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ، إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ».

وقد تناولنا في الخطبة الماضية أولَ هذا الحديث، الثبات على الأمر، والعزيمة على الرشد، وموجبات الرحمة، وعزائم المغفرة، وشكر النعمة، ولا شك أن النبي ﷺ ما حثَّ وحضَّ على الدعاء أن يحصل المسلم هؤلاء الصفات إلا وأنها أعظم الصفات، ومن ذلك:

- حسن العبادة: «وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ»، إخواني الكرام، قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالغرض الأساس من خلق الله عز وجل لنا، وإيجادنا في هذه الحياة هو عبادته ﷻ، والعبادة –إخواني الكرام– قد نؤديها لكننا لا نحسن فيها، قد نصلي، لكننا لا نحسن في الصلاة، يدخل أحدنا في الصلاة لا يذكر كم صلى ربما، يُكبر ثم يهيم قلبه في أودية الدنيا، ويتذكر كل شيء إلا الصلاة، حتى يسلم، ولا يدري ماذا قرأ الإمام، ولا يستحضر بماذا سبَّح؟ وبماذا ذكر؟ فليس هذا من حسن العبادة، نعم، هي عبادة، لكنها ليست من حسن العبادة.

النبي ﷺ حثَّنا أن نعبد الله عز وجل بالإحسان، وهذه المنزلة من أعظم المنازل، وهي التي سأل عنها جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ في الحديث الشهير بحديث جبريل، فقال: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ فَقَالَ النبي ﷺ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، الإشكالية يا إخواني أننا لا نستحضر مراقبة الله عز وجل لنا، إذا استحضرنا أن الله عز وجل يرانا ونحن نصلي له، فسنحسن الصلاة، وسنحسن العبادة.

إذا ما مثلتَ أمام أحد الملوك أو الأمراء فإنك ستمثل أمامه خاشعًا تحاسب على حركاتك، وعلى كلماتك، وعلى أقوالك؛ لأنك تعلم أنه يراك، فلا تريد أن تفعل فعلًا خاطئًا، فلا تحضر عنده إلا على أتم الوجوه شكلًا، ولباسًا، وهندامًا، وعدم حركة، وعدم كلام، وهو إنسان مثلك، فما بالنا إذا ما قدمنا إلى ملك الملوك ﷻ نأتي على خلاف ذلك، فلا تخشع قلوبنا، ولا تسكن حركتنا؛ لأننا لم نستحضر أنه يرانا، لذلك الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، لذلك جعلها أهل العلم على مرتبتين، جعل أهل العلم الإحسان على مرتبتين:

المترتبة الأولى: أن تعبد الله مستشعرًا رؤيته لك، وهو مقام المراقبة، إذا وصلت إلى هذه المرحلة فستحسن العبادة، وهناك مرتبة أعظم منها.

المرتبة الثانية: وهي أن تعبد الله كأنك تراه، أن يصل مقدار الإيمان في قلبك إلى درجة أنك كأنك ترى الله عز وجل وأنت تصلي، أو وأنت تقرأ القرآن، أو وأنت تسبح، أو وأنت تقوم بأي عبادة، إذا وصلت لهذه المرحلة فستُحسن العبادة لا محالة.

وهذا -إخواني الكرام- يحدث بأمور، وله أسباب، من أعظمها الدعاء، لذلك حثَّنا النبيُّ ﷺ على أن ندعو دائمًا أن نحسن العبادة، ومن ذلك ما روى الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ بيده وقال له: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، هذا الدعاء علَّمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال له: «وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، فَلَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»، يعني: لا أقل من خمس مرات في اليوم. «لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»؛ لأننا إن لم نحسن عبادة الله عز وجل هلكنا، فالمحك في حسن عبادته ﷻ.

ثم قال النبي ﷺ في هذا الدعاء العظيم: «وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا»، القلب السليم -إخواني الكرام- هو الذي سيسعد صاحبه يوم القيامة، كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

يوم القيامة لا ينفع الإنسان اسمه، ولا شكله، ولا لونه، ولا ماله، ولا بنوه، ولا عشيرته، ولا أي شيء، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

ما هو القلب السليم -إخواني الكرام-؟ القلب السليم -كما قال أهل العلم-: هو الذي خلا من أمراض الشهوات، وأمراض الشبهات، هو القلب -كما قال الحافظ ابن رجب رحمه الله- الذي لا يكون فيه إلا ما يُرضي الله ﷻ، القلب السليم هو الذي يقودك إلى الطاعة، كم من إنسان لا يستطيع أن يعبد الله! لا يستطيع، يريد ربما عنده رغبة أن يصلي، لكن لا يطاوعه قلبه

على الصلاة، عنده الصلاة أثقل عليه من الجبال، وشخص لا يستطيع أن يفتح المصحف، وآخر لا يستطيع أن يصوم يومًا تطوعًا، وثانٍ لا يستطيع أن يتصدق، لماذا رغم أن هذا عنده صحة، وهذا عنده مال، ووقت، وعافية، ولن يعجزه هذه العبادة؟

السبب ليس له قلب سليم، القلب السليم هو الذي يدفعك للطاعات، هو الذي إذا ذهبتَ إلى الصلاة يفرح، ويشعر بانشراح وفرح، وتكون الصلاة عنده قرة عين، والقلب المريض هو بخلاف ذلك، لا يرغب في الصلاة، ولا يحث صاحبه عليه، ولا وتكون الصلاة عنده قرة عين، والقلب المريض هو بخلاف ذلك، لا يرغب في الصلاة، ولا يحثُّ صاحبه عليه، ولا على العبادات، ولا على الطاعات، ويهش ويبش قلبه لخلاف ذلك، فإذا ما ذُكر الله انقبض، إذا ما أُوتي بأمر فيه أمر ديني كأنك تسبُّه، لا يريد، وإذا ما ذُكِر غير الله ﷻ ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨]، كما قال سبحانه.

وصاحب القلب السليم بخلاف ذلك، يفرح إذا أُوتي له بطاري الدين، وطاري القرآن، وذكر الله عز وجل، والطاعة، والصلاة، يفرح لذلك، هذا هو علامة صاحب القلب السليم، وهو الذي لا ينجو إنسان يوم القيامة إلا إذا امتلك هذا القلب، لذلك حثَّنا النبي ﷺ أن نسأل الله هذا القلب السليم، القلب الذي خلا من الأمراض، خلا من الشهوات المحرمة، خلا من الشبهات، وهذا القلب -إخواني- يحدث ويحصل للإنسان مع المجاهدة، ومع الصبر، ومع حمايته من ما يُمرضه، القلب السليم هو الذي يحجبه صاحبه عن الاستماع إلى المحرمات، هو الذي يحجبه صاحبه عن الغوص في الذنوب والمعاصي والشهوات ثم لا يتوب.

القلب -إخواني- مثل الإسفنج، هذه الإسفنجة إذا غمستها في المسك تشربت المسك، وإذا غمستها في النجاسة تشربت النجاسة، فأنت الذين تملك ما يدخل في قلبك، وما لا يدخل، فإن عوَّدت قلبك على استماع القرآن، واستماع أهل العلم، وأهل الخير، ومَنْ يُذَكِّر بالله عز وجل، وقرأت القرآن، وجاهدت نفسك في الصلاة؛ فإنه سيزكو ويتطهر ويكون قلبًا سليمًا، ثم هو بعد ذلك الذي يحملك على الطاعة.

أما إذا وضعت قلبك في المواضع التي لا تُرضي الله عز وجل، فلا يستمع إلا إلى الحرام والسباب والشتائم، وقسوة القلب، وعوَّدت جوارحك على المعاصي والآثام، ولم تعودها على الطاعات؛ فإن هذا القلب سيمرض، وسيكون قاسيًا، ثم هو الذي سيمنعك عن الطاعات.

لذلك –إخواني الكرام– علينا أن نسأل الله عز وجل دومًا أن يرزقنا القلب السليم، وأن نسعى لأن يكون قلبنا سليمًا.

نسأل الله ﷻ الكريم من فضله، بارك الله لنا ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

ثم قال النبي ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا»، اللسان الصادق الذي لا يعرف الكذب هو الذي يحبه الله ﷻ، جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».

اللسان الصادق هو الذي لا يقول إلا حقًّا، وهو الذي أمر الله عز وجل به، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

الصدق منجاة، ربما إذا صدقت تُبتلَى وتُمتحن، لكنك في النهاية تكون لك العاقبة، كما حدث لكعب بن مالك رضي الله عنه، لما تخلف عن غزوة تبوك، وزوَّر في نفسه أولَ الأمر كذبًا، ولكنه تراجع عنه، وصدق مع النبي ﷺ، فابتُلي أيامًا، ثم تاب الله عز وجل عليه، وأنزل توبته تُتلى هو وصاحبيه إلى يوم القيامة: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

ثم قال بعد ذلك ربنا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

الصدق –إخواني الكرام– منجاة وعزة، والكذب وإن نجاك مؤقتًا لكنه سيوقعك في النهاية في الخطأ، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، وهو ذلٌّ على صاحبه كذلك، لذلك كان النبي ﷺ لا يكذب حتى في مزاحه، فقيل له: يا رسول الله، إِنَّكَ تُمَازِحُنَا، قال: «**نعم، ولكني لَا أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا**»، لذلك سأل النبيُّ ﷺ ربَّه، وأمرنا أن نسأل ربنا اللسان الصادق الذي لا يكذب.

ثم قال النبي ﷺ، وختم هذا الدعاء العظيم بدعاء مجمل، وقال: «**وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**»، بعدما خصَّ النبي ﷺ صفات معينة عظيمة دعا بها عمَّ، فدعا بكل خير، فقال: «**وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ**»، ثم استغفر ﷺ استغفارًا عامًّا، «**وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ**».

فهذا الدعاء –إخواني– مَنْ دعا به فقد دعا بكل خير، واستعاذ الله عز وجل من كل شر، وهذا هو الفلاح والنجاح، فعلينا –إخواني الكرام– أن تلهج ألسنتنا بهذا الدعاء النبوي العظيم، ففيه خير لنا في الدنيا والآخرة، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرتَه، ولا عيبًا إلا سترتَه، ولا همًّا إلا فرَّجتَه، ولا حاجة إلا قضيتها ويسَّرتها يا رب العالمين. اللهم فرِّج هم المهمومين، ونفِّس كرب المكروبين، واقضِ الدَّين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم الطف بإخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا المسلمين المستضعفين على الظالمين في كل مكان، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفِّق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].